البحر وخروج بني اسرائيل منه ويقال هذا البحر بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر
يقال له اساف ان في ذلك اي الامر العظيم العالي الرتبة من قصة موسى وفرعون
وما فيها من العطايا لآية اي علامة عظيمة دالة على قدرة الله تعالى لان احدا من
البشر لا يقدر عليه وعلى حكمته وكون وضعه مصلحة في الدين والدنيا وعلى صدق
موسى بكونه معجزة له وعلى التحذير عن مخالفة امر الله تعالى ورسوله عليه السلام
وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه قد تغتم بتكذيب قومه مع ظهور
المعجزات عليه فنبهه الله تعالى بهذا الذكر على ان له اسوة بموسى وغيره وما
كان اكثرهم اي اهل مصر الذين شاهدوها والذين وعظوا بسماعها مؤمنين
اي متصفين بالايمان الثابت اما القبط فما امن منهم الا السحرة ومؤمن آل
فرعون وامرأة فرعون والمرأة التي دلتهم على عظام يوسف عليه السلام واما
بنو اسرائيل فكان كثير منهم متزلزلا يتعنت كل قليل ويقول ويفعل ما هو كفر
حتى تداركهم الله تعالى على يد موسى عليه السلام ومن بعده واول ما كان من
ذلك سؤالهم اثر مجاوزة البحر ان يجعل لهم الهة كالاصنام التي مروا عليها
واما غيرهم ممن تاخر عنهم فحالهم معروف وامرهم مشاهد مكشوف فقد سألوا
بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله تعالى جهرة وان ربك
اي المحسن اليك باعلاء امرك واستنقاذ الناس من ظلام الجهل على يدك لهو
العزيز اي القادر على الانتقام من كل فاجر الرحيم بعباده لانه تعالى افاض عليهم
نعمه وكان قادرا على ان يهلكهم فدل ذلك على كمال رحمته وسعة جوده
وفضله ولما اتم سبحانه وتعالى ما اراد من قصة موسى عليه السلام ليعرف
محمدا صلى الله عليه وسلم ان تلك المحن التي اصابته كانت حاصلة لموسى مع
اشعة دلائله على رحمته وزيادة في تسلية نبيه قصة ابراهيم عليه السلام
وهي القصة الثانية بقوله تعالى واتل اي اقرأ قراءة متتابعة
يا اشرف الخلق عليهم اي كفار مكة وقوله تعالى نبأ اي خبر ابراهيم
قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو في الوصل بتسهيل الهمزة الثانية وحققها الباقون
وفي الابتداء بالثانية الجميع يحققون ويبدل منه اذ اي حين قال
لابيه وقومه منبها لهم على ضلالهم لا مستعلما لانه كان عالما بحقيقة
حالهم ولكنه سألهم بقوله ما اي اي شيء تعبدون اي تواظبون
على عبادته ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء
كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق
جمال وليس بمال قالوا في جوابه نعبد اصناما فان قيل قوله عليه الصلاة
والسلام ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس ان يقولوا
اصناما كقوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو وكقوله تعالى
ماذا قال ربكم قالوا الحق وكقوله تعالى ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اجيب

قصة ابراهيم عليه السلام

بان هولا

بان هولاء قد اجابوا بقصة امرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت
على جواب ابراهيم عليه السلام وعلى ما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج
والافتخار الازم كيف عطفوا على قولهم نعبد فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا
على زيادة نعبد وحده ومثاله ان تقول لبعض الشطار ما تلبس في بلادك
فيقول البس البرد الاتحمي فاجر ذياله بين جواري الحي وانما قالوا نظل لانهم كانوا
يعبدونها بالنهار دون الليل يقال ظل يفعل كذا اذا فعل بالنهار دون الليل
والعكوف الاقامة على الشيء ثم ان ابراهيم عليه السلام قال منبها على فساد
مذهبهم هل يسمعونكم اي يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك
لدلالة اذ اي حين تدعون عليه فعلى الاول هي متعدية لواحد اتفاقا وعلى
الثاني هي متعدية لاثنين قامت الجملة المقدرة مقام الثاني وهو قول الفارسي
وعند غيره الجملة المقدرة حال وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الذال
عند التاء والباقون بالادغام او ينفعونكم ان عبدتموهم او يضرون اي يضروكم
ان لم تعبدوهم ولما اقام ابراهيم عليه السلام عليهم هذه الحجة الباهرة
وهو ان الذي يعبد ونه لا يسمع دعاءهم حتى يعرف مقصودهم ولو عرف ذلك
لما صح ان يبذل النفع او يدفع الضر فكيف يعبد ما هذه صفته ولم يجدوا ما
يدفعون به حجته الا التقليد قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك اي مثل فعلنا
هذا الفعل العالي الشان ولم يكن عند من نعبدهم شيء من ذلك ثم صوروا
حالة ابائهم في نفوسهم تعظيما لامرهم بقولهم يفعلون اي فنحن نفعل
كما فعلوه فانهم حقيقون منا بان لا نخالفهم مع سبقهم لنا الى الوجود فهم ارصن
منا عقولا واعظم تجربة لولا انهم رأوا ذلك حسنا ما واظبوا عليه وهذا تقليد
محض خالي عن ادنى نظر كما تفعل البهائم والطير في نفعها ولها ثم ان ابراهيم
عليه السلام قال معرضا عن جواب كلامهم لما رآه ساقطا لا يرتضيه عاقل
أفرأيتم اي تسبب عن قولكم هذا اني اقول لكم ارأيتم اي ان لم
تكونوا رأيتموهم رؤية موجبة لتحقيق امرهم فانظروهم نظرا شافيا ما
كنتم تعبدون اي مواظبين على عبادتهم انتم واباؤكم الاقدمون اي الذين
هم اقدم ما يكون فان التقديم والاولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل
لا ينقلب حقا بالقدم فانهم عدو لي اي اعداء لي وانما وحده على ارادة الجنس
ويجيء العدو والصديق في معنى الواحد والجماعة قال القائل

وقوم علي ذوي مرة اراهم • عدوا وكانوا صديقا

ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو تشبيها بالمصادر كالحنين والصهيل
وقيل هو من المقلوب اراد اني عدو لهم فان من عاديته فقد عاداك وقرأ
نافع افرأيتم بتسهيل الهمزة التي هي عين الكلمة ولورش ايضا ابدالها
الفا واسقطها الكسائي وحققها الباقون فان قيل لم قال فانهم عدو

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1